Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

صورة المرأة في رواية " الذين يحترقون " لنجيب الكيلاني

و. بوجمعة بوحفص

جامعة العربي التبسي تبسة

الملخص :

تسعى هذه الدراسة إلى معالجة بعض قضايا المرأة في رواية " الذين يحترقون " لنجيب الكيلاني، حيث يمكن إدراك حضور العنصر النسوي في الإنتاج الروائي للكاتب، الذي جعل من المرأة وقضاياها منهلا يغترف منه موضوعاته المحملة برؤاه ووجهات نظره فيما يخص وضعية المرأة في المجتمع العربي.

ومن هذا المنطلق تبرز إشكالية هذا البحث، والتي تتكئ على تساؤلات مشروعة منها على وجه التحديد : "كيف تعامل الروائي مع فكرة توظيف المرأة في أعماله عموما؟ "ثم" كيف بدت المرأة في رواية " الذين يحترقون ؟"

و " هل استطاع نجيب الكيلاني أن يجعل لهذه الصورة مرجعية إنسانية عالمية من جهة ووظيفة جمالية فنية من جهة ثانية؟"

الكلمات المفتاحية :

المرأة . الرواية العربية ـ العنوسة .

الطلاق . الحرية . التعليم ـ العمل .

Résumé :

Cette étude vise à répondre à certaines questions relatives aux femmes dans le roman (Ceux qui se brûlent) de Najib al–Kilani, où on peut reconnaître la présence de l'élément féministe dans la production narrative de l'écrivain, qui a fait des questions des femmes la source de ses sujets chargés de ses visions et points de vue sur la situation des femmes dans la société arabe.

De ce point, on vise à mettre en évidence la problématique de cette recherche, qui se penche sur des questions légitimes, y compris en particulier: « Comment le romancier à traiter l'idée d'employer des femmes dans son travail en général?

Les mots clés :

Femme. Roman Arabe. Célibat .Divorce .Liberté Education .Travail.

أولا : المرأة العربية ومكانتها في المجتمع

جاء في لسان العرب تحت مادة (مَرَأَ) ما نصه : " المُرُوءة كَمالُ الرُّجُولِيَّة مَرُؤَ الرجلُ يَمْرُؤُ مُرُوءة فهو مَرِيءٌ على فعيلٍ وَتمَرَّأَ على تَفَعَّلَ صار ذا مُروءة. وقد أَنَّثوا فقالوا مَرْأَةٌ وخَفَّفوا التخفيف القياسي فقالوا مَرَةٌ بترك الهمز وفتح الراءِ "([1]). كما جاء في لسان العرب أيضا وتحت مادة (أنث) ما يلي: " الأُنْثى خلافُ الذكر من كل

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

شيء والجمع إناثٌ وأُنُثٌ، ويقال للرجل أنثت تَأْنيثاً أَي لِنْتَ له ولم تَتَشَدَّد، ويقال هذه امرأَة أُنثى إِذا مُدِحَتْ بأَنها كاملة من النساء كما يقال رجل ذَكَر إِذا وُصِفَ بالكمال "([2]).

ولا يبتعد معجم (الصّحاح) عن هذه المعاني اللغويّة لهذه المفردات، فقد ورد فيه تحت مادة (مرأ)، ما يلي: " مَرُؤَ الرجلُ: صار ذا مُروءةٍ فهو مَرِيءٌ على فَعِيلٍ. وتَمَرَّأَ: تَكَلَّفَ المروءةَ. والمَرْءُ: الرجلُ "([3]). ولا يوجد في اللغة العربية جمع لكلمة امرأة لذا استخدموا لفظة أخرى تخص المرأة دون الرجل وهي لفظة نساء، وقد جاءت من نسأ ينسأ ونسيء وهي المرأة المظنون بها الحمل، ويقال مرأة نسيء كالنَّسُوءِ على فعول ونسوة ونساء أي تأخر حيضها ورجي حملها ([4]).

وفي ضوء هذه القراءة المعجمية، ومن خلال ما ورد من المعاني، نستنتج أن المجتمع العربي، منذ القدم كان يميز بين المرأة والرجل من خلال الاستعمال اللغوي للمفردات الدالة على جنس كل منهما، وهذا ما تؤكده الباحثة سعاد الحكيم في حديثها عن المؤنث الحقيقي والمؤنث المجازي من خلال مناقشتها آراء ابن عربي في المرأة، فهي ترى أن المؤنث المجازي"يخضع لكل آليات التصريف التي يخضع لها المؤنث الحقيقي، وهو أمر يكشف عن تصوّر أن(التّذكير) هو الأصل الفاعل، والمؤنّث لا فاعلية له، وبحكم هذه الفاعلية للمذكر من حيث هو الأصل الفاعل تُصِرُّ اللّغة العربيّة على أن يعامل الجمع اللغويّ معاملة (جمع المذكر) حتى لو كان المشار إليه بالصيغة جمعا من النساء، بشرط أن يَكُونَ بين الجمع رجل واحد، هكذا يلغي وجود رجل واحد مجتمعا من النّساء فيشار إليه بصيغة الجمع "([5]) .

وقد تأرجحت مكانة المرأة في الحضارات القديمة بين التقديس والتدنيس" ففي مجتمع ما قبل التدوين كانت الأم هي العائلة وكان الأبناء يعيشون في كنف أمهاتهم وقد أخذ فعل الولادة بِلُبِّ الرجل وشغافه، ودعا إلى تقديس المرأة وتأليهها، كذلك فعل مجتمع الحضارات القديمة مثل بلاد ما بين النهرين ومصر الفرعونية، مع بعض النساء ورفعهن إلى مرتبة القداسة والعبادة "([6]). ولكن هذا التّأليه والتّقديس والتّمليك لم يكن الغالب في العصور والحضارات اللاحقة، بل إن المرأة قد تعرّضت إلى الكبت والصّمت والتّهميش، ووقوف الرّجال من المرأة مواقف غير إيجابية ، كانت في حالات كثيرة عدائية عدوانية . وتأرجحت مكانة المرأة في الحضارة الرومانية بين القَبُول تارة وبين النّفور في أكثر الأوقات لأنّ العصر الروماني كان يُعُدُّ عصرَ الرَّجل أو العصر الأبويّ، ومع ذلك فقد كانت للنِّساء سطوة وسيطرة واضحة على الرّجال ممَّا جعل أقوى خطباء الرّومان وأعظم كُتَّابهم في زمانه(ماركس بورسيوس كاتو) الملقّب بكاتو الكبير يَشْكُو هذه السيطرة بقوله: " إنَّ

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

الرّجال في جميع أنحاء العالم يحكمون النِّساء، أمَّا نحن الرومان الذين نحكم جميع الرّجال فإنَّ نساءنا يَحْكُمْنَنَا " (7).

ولم يكن الأمر مختلفا كثيرا في الحضارات القديمة الأخرى، كالحضارة الرّوسية والفارسية؛ ففي روسيا القديمة كانت تمارس عادة غريبة على النّساء ليلة الزّفاف، فقد كان والد العروس يضرب ابنته بالسّوط ليلة زفافها ثم يقدم السوط إلى زوجها ليضربها هو الآخر بدوره لا لشيء سوى لإرهاب الزّوجة فتكُون بعد ذلك زوجة مطيعة، تخضع لزوجها خضوعا تاما.

ولم تكن المرأة العربية بأوفر حظّا من غيرها، فقد كانت في العصر الجاهلي محرومة من كثير من الحقوق المشروعة، ولقد تعرضت للكبت والصّمت وكانت عبارة عن سلعة تباع وتشترى في الأسواق، وكان الرجل يرث زوجته فيما يرث من متاع عن أبيه؟ بل أكثر من ذلك، فقد كان الرجل يجن جنونه، ويفقد صوابه إذا ما بشر بالأنثى مما يجعله يدفنها حية تخلصا من العار الذي قد تجلبه للأسرة وللقبيلة.

وصَوَّرَ القرآنُ الكريمُ ذلك في قوله تعالى:(وإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بالأُنْثَى ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وهُوَ كَظِيمٌ (58) يَتَوَارَى من القَوْمِ من سُوءِ ما بُشِّرَ به أَيُمْسِكُهُ على وَهْنٍ أَمْ يَدُسُّهُ في التُّرابِ أَلا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ (59): (8).

أما بعد مجيء الإسلام، فقد تحول وضع المرأة تحولا جذريا، وتغيرت حياة المرأة العربية من خلال دفاع الإسلام عن حقوق المرأة الأساسية، ومساواتها مع الرجل في الحياة الإنسانية الكريمة، فأصبح الرجل أكثر رفقا بالمرأة وأعمق تفهما لمكانتها في المجتمع متبعا ما ورد في التشريعات الدينية من مثل قوله تعالى(يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا ربَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً واتَّقُوا اللَّهِ الَّذِي تَسَآءَلُون بِهِ والأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) (9).

وأَلَّفَ الإسلام من المرأة والرجل عنصرا واحدا فعالا في حياة المجتمع، إذ كَلَّفَ المرأة بما كلف به الرجل من الأعمال على اعتبار أنها شقيقته ومساوية له في الجنس والطبيعة الإنسانية؛ فهي إذن لها حق التَّمَلُّكِ وحق الإرث وحق التعاقد والتّصرّف في مَالِهَا بالبيع والشّراء والهبة وحق اختيار الزوج وحق التّعلم.إلاَّ أَنَّ مكانة المرأة العربية قد تراجعت في العصور اللاحقة لصدر الإسلام؛ في العصر الأموي وفي العصر العباسي، حيث كثرت الإماء والقيان وتدحرجت مكانة المرأة إلى الدَّرَكَاتِ السفلى في سُلَّمِ المجتمع، وانحصر دورها في البيت والإنجاب وتربية الأطفال.

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وبقيتَ الحَالُ على ذلك عصورا طويلة في الانحطاط والتَّخَلُّفِ حتّى تَمَزَّقَت أوصال الخلافة الإسلامية، ووقعت البلاد العربية من الخليج إلى المحيط تحت وطأة الاستعمار الأوروبي، فعاث فسادا في لبلاد والعباد، وتساوى في ذلك الرجال والنساء.

ولم يختلف الأمر كثيرا في المجتمعات العربية بعد تَحَرُّرِهَا من ربقة الاستعمار وحصولها على نعمة الحرية والاستقلال، فقد عاودت سطوة الرجل على المرأة، إذ جُرِّدَتْ من كثير من الحقوق التي كانت تتمتع بها، مما اضطرها إلى المطالبة بهذه الحقوق المهدورة.

وقد نظر الأدباء والمفكرون العرب إلى قضية المرأة من زوايا مختلفة، حتىّ صار بعضهم يرى" أنَّ المرأة ليست شيئا سوى العورة، وإنَّمَا يُصَوِّرُهَا أُفُقُهُم الضَّيِّقُ مخلوقةً حقيرةً على استعداد لبيع نفسها لأول عابر سبيل إذَا غَفَلَ الرجل لحظة واحدة على حراستها، فالمرأة من دون الرجل مال سَايِب "([10]).

وهي عند بعضهم أسوأُ من كل ذلك، فهي" تملك أصول الشهوات، وهي الدَّمَارُ والخذلان، والمرأة هي الجحيم، هي البلاء يَصُبُّهُ اللهُ على رؤوس العباد"([11]). بل هي عند بعضهم الآخر باب الشيطان، وهي التي أغوت آدم، وقد عجز الشيطان على إغوائه، فأخرجته هي بدهائها من الجَنَّةَ، ويَرَاهَا العَقَّادُ "وَثَنِيَّةً لَمْ تَتَدَيَّنْ قَطُّ"([12]).

ومن الأوروبيين من نظر إلى المرأة نظرة دونية، فهذا جان جاك روسو يعتقد" أنَّ الرِّجَالَ يعيشون حياة أفضل من دون النساء، أما النساء فلا يمكن أن يعشن حياة أفضل من دون الرجال([13]). ويؤازره الفيلسوف شوبنهاور بقوله " إنَّهُ يكفيك أن تنظر كيف تكونت المرأة لتدرك أنها لم تُخْلَقْ للعمل الجاد سواء أكان فكريا أم كان عضليا، إنَّ نصيب النساء من الحياة هو التَّحَمُّلُ والصَّبْرُ وليس الفعل "([14]).

وأسهم هذا الوعي السلبي بشكل كبير في ترسيخ الصورة النَّمطية للمرأة، في الأسرة ومن خلال المؤسسات الثقافية والتعليمية، التي بَنَتْ برامجها على هذا الأساس من التفرقة بين الرجال والنساء " فالمدرسة تساهم في تنشئة الأفراد وفي تعليمهم القِيَم الاجتماعية السائدة وتساهم في تحديد الدور الاجتماعي للفرد من خلال النماذج التي تقدمها، حيث تظهر السمات الاجتماعية التي تليق بالذكور، كالاستقلال والميل للمنافسة والطموح والشجاعة والقوة الجسدية والزعامة والسيطرة، بينما تظهر سمات الإناث كالاتكالية والافتقار إلى المبادرة والضعف والرقة والوقار "([15]).

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

وقد ساهمت الأسرة العربية في تكريس هذه الصورة النمطية، وتنشئة الفتاة على قيم وتقاليد صبغت حياتها الاجتماعية، ودفعتها إلى الاقتناع بمصداقية هذه القيم وعدم الخروج عنها قيد أنملة، وفي هذا الشأن يقول الناقد نزيه أبو نضال " تبدأ عملية البرمجة المنظمة للفتاة منذ نعومة أظافرها والقالب الصيني جاهز حتى لا تخرج الفتاة عن حدود مقاسه، فهناك تقسيم صارم للعمل في إطار الأسرة؛ فالكنس والطبخ والجلي وصنع القهوة من مهمات البنت، أما الولد فإنه يكون في هذه الأثناء يلعب مع أقرانه في الخارج، وإذا ما أرادت أخته مشاركته يصفها المحيط العائلي والاجتماعي بالتعبير الشائع (حسن صبي)، وإذا كانت كبيرة واقتربت من أعمال الرجال أو مارست بعض سلوكياتهم، فسيقال عنها على الفور (امرأة مسترجلة) " ([16]).

وقد أدت هذه التنشئة إلى إقناع المرأة بأن هذا هو الدور الاجتماعي المنوط بها، وأن الخروج عنه يُعَدُّ من المحال والشذوذ عن طبيعتها النَّسْوِيَّةِ، وأنها فعلا أدنى مرتبة من الرجل، بل إن مصيرها مرتبط به ومرهون به " فالمرأة العربية كائن بغيره لا بذاته، فتتحدد هويتها لكونها زوجة فلان، أو بنت فلان، أو أم فلان،أو أخته، ووصفها يرتبط بالنظام الطبقي "([17]).

وعلى الرغم من هذه الاعتبارات السلبية للمرأة في تحديد مكانتها الاجتماعية، نجد في المقابل بعض الآراء التي تدعو إلى إنزال المرأة منزلتها اللائقة بها كإنسان، والمتماشية مع طبيعتها الفطرية، وأن المرأة لم تعد نصف المجتمع . كما يقال . فحسب، بل هي أكثر من ذلك بكثير، فهي المجتمع كله حينما تقوم بواجباتها وتحقق حقوقها، فتصبح من هذا المنظور" زينة الدنيا وفتنتها ونضارة الحياة وبهجتها وانتعاش الرغبة واخضرارها، ولولاها لعمت الرتابة والبلادة، وأمست الحياة جدباء موحشة، هي مبدأ الخلق ورحمه،كيف لا وهي القوام الأجمل، والصورة الأبدع والشكل الأعجب والحس الأروع، وهي الحضور الأشد وقعا وتأثيرا، والوجه الأكثر فيضا وإشراقا، وهي التي تجدد للرجل شهيته"([18]).

وإن كانت هذه الأوصاف مبالغ فيها إلا أنها الأقرب إلى طبيعة المرأة وأنوثتها، وهي في الواقع تجسيد واضح لمؤهلات المرأة النفسية والجسدية والعاطفية والفكر. و أصبح الاهتمام بموضوع المرأة مما يعد قضية أساسية وحاسمة في المعالجات الاجتماعية الإنسانية، وباتت الشغل الشاغل للمرأة ومنظماتها ولقادة الدول والمجتمعات والمؤسسات المدنية وللمختصين والمربين والمصلحين على اختلاف مدارسهم ومناهلهم المادية والروحية.

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

من خلال سرد تلك المواقف المتناقضة حول ماهية المرأة وطبيعتها ومكانتها في المجتمع، يتضح " أن الصراع بين الرجال والنساء لم يكن في البداية موجودا، أو على الأقل لم يكن واضحا وضوحه اليوم، كما لم يكن هناك عصر نساء، ولا عصر رجال بالمعنى المطلق لهذه التسمية"([19]).

وخلاصة القول في هذا المقام إنه على الرغم من الدعوات الكثيرة والمتكررة التي تصدر عن كثير من النخب والهيئات الاجتماعية الحكومية وغير الحكومية عن حقوق المرأة ومساواتها بالرجل، فإن هذه الدعوات لم تبلغ مبلغها من التحقيق على أرضية الواقع؛ ذلك أن النظرة الدونية للمرأة ما تزال مُتَجَذِّرَةً في العقول تُزَاوِحُ مكانها ولا تبرحه في العديد من المجتمعات العربية، ولا أدل على ذلك من أن بعض المجتمعات العربية لا تزال تمنع فيها المرأة من المشاركة في الانتخابات وقيادة السيارة وغيرها من أبسط الحقوق الإنسانية، ومنها منع المرأة من اختيار الزوج الذي تحبه وإكراهها على الزواج ممن تختاره العائلة لمصلحة ما، ممَا نتجَ عنه قضايا مأساوية كالعنوسة والطَّلاق ، وهي القضايا التي سأتناولها بالدرس في روايات نجيب الكيلاني.

ثانيا: المرأة وظاهرتا العنوسة والطلاق في روايات نجيب الكيلاني :

العنوسة والطلاق من القضايا الاجتماعية التي تعرض إليها نجيب الكيلاني في رواياته، وهما قضيتان لا تقلان أهمية عن غيرهما من القضايا التي طرحتها الكاتب؛ فأمّا العنوسة فهي الظاهرة التي باتت تتمدد كالإخطبوط في ثنايا المجتمعات العربية، ومثلها ظاهرة الطلاق التي صارت تنخر جسد المجتمع لترديه صريعا يتخبط في المشاكل التي تترتب عنه على الصعيدين: الفردي والاجتماعي.

وأمّا الطلاق قد أضحى موضة تتفاخر بها النسوة، أو على الأقل تُبَيِّنُ من خلاله قدرتهنّ على قول كلمتهنّ، لا سيما في ظلّ كثير من القوانين الوضعية التي سهلت الطريق إلى الطلاق... فقد أشارت كثير من الإحصائيات إلى تنامي نسب العنوسة، وارتفاع عدد المطلقات في المجتمعات العربية بشكل ملفت للانتباه، ينذر بالخطر الزاحف على الأمة العربية والإسلامية جراء هذه الظاهرة المتنامية بسرعة كما ينمو السرطان في الجسد العليل ...

وقد تناول الكيلاني هذه الظاهرة في العديد من رواياته نذكر منها بعض النماذج مثل: بنات (أبي العز سليم) في رواية (مملكة البلعوطي)، و(أخت حافظ شيحا) في رواية (الطريق الطويل). والممرضات العوانس في رواية (الذين يحترقون)أيضا، و(هدى) المرأة المطلقة في رواية (الذين يحترقون): وهما النموذجان موضوعا الدراسة التطبيقية لهذا البحث.

أ) . الممرضات العوانس في رواية (الذين يحترقون)

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

وهن (**كاميليا**) و(**هدى**) و(**زكية**)، ممرضات في مستوصف قرية من قرى ريف مصر، مَثَّلَتْ كُلٌّ منهنَّ دورا في الرواية، وقد تفاوتت تلك الأدوار حيث كانت شخصية (كاميليا) شخصية متحولة نامية عبر صفحات الرواية. أما (هدى) فلم تكن كذلك فهي شخصية ثابتة لم تتحول منذ بداية الرواية إلى نهايتها، وكذلك شخصية (زكية) التي كانت شخصية عابرة.

وقد عاشت تلك الشخصيات في إطار الصراع الرئيسي للرواية بين طبيبين يعملان في المستوصف، أحدهما الطبيب (**موريس**) الذي يستغل جهل الفلاحين بالقوانين التي تنظم الصحة وأمور العلاج، فيحصل على أموال غير شرعية من خلال معالجتهم في بيوتهم ويطلب أجرة العلاج، ومع ذلك فإن الممرض (حامد) يتواطأ معه ويوهم الفلاحين بأن ذلك حقه في التعب على صحتهم وراحتهم.

وبالمقابل نجد الطبيب(**محمد صادق**) وهو واحد من أبناء القرية. ابن فلاح زاول دراسته في ظروف اجتماعية قاهرة، حتَّى تخرج وعين في مناطق عَدَّةً، وفي القاهرة ثمَّ حُوِّلَ إلى العمل في مستوصف القرية، حيث يبذل كل طاقته في المستوصف أوقات الدوام وكثيرا من الأحيان يعمل خارج الدوام وكل ذلك مجانا.مما جعل المرضى والقرويين عامة يفرون إلى العيادة للعلاج، وقد أغضب ذلك موريس الذي ضاعت مصالحه، حيث قَلَّتْ عائداته، فأصبح يثير الشكوك والشائعات ضد الطبيب محمد الصادق، ويحاول الإيقاع به مستعينا بخدمات الممرض حامد الذي يشهد زورا ضد الطبيب صادق الذي اتهمه موريس بربط علاقة عاطفية مع الممرضة كاميليا، مما يستدعي وقوف الطبيب محمد أمام التحقيق .

ذلك ما جعل أهل القرية يَتَّحِدُون ويقفون وقفة واحدة مساندة لمحمد مما ينتج عنه إجراء تحقيق آخر مع الطبيب موريس الذي تَوَرَّطَ في قضايا رشوة وفساد وقضايا غير أخلاقية، وينتهي الصراع بنقل الطبيب موريس عن القرية، وبالمقابل يتلقى الطبيب محمد الصادق رسالة شكر وتقدير من وزير الصحة .

في غضون هذه الأحداث المتشابكة، تبرز شخصيات العوانس الثلاثة:(كاميليا) و(هدى) و(زكية)؛ **كاميليا** كما وصفها السارد جميلة وتستخدم جمالها لإغراء الرجال وجذبهم نحوها لتحظى بالمتعة أو بالزوج المناسب: " فقد كانت واسعة العينين تطل منهما صراحة وجرأة وفي وجهها المستدير وخطواتها العجيبة سمات جمال مثير واستعداد للمعابثة ([20]).

فهي فتاة مستهترة بالقيم،لا تعير اهتماما للأخلاق ، همها العبث بعواطف الرجال ، والإيقاع بهم في حبها وتعذيبهم، حيث تصفها زميلتها بقولها : " إن ما يضايق كاميليا هو الأخلاق الفاضلة "([21])، نعم كاميليا لا تهمها الأخلاق الفاضلة لأنها ضحية الأخلاق بل إنها ضحية الرجال الذين

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

لم تكن لهم أخلاق، فقد أحبت رجلا لكنه لم يراع هذا الحب وأوقعها في الخطيئة لذلك صارت تكره الرجال.

لقد جاء في رسالتها إلى سعيد سلطان كاتب المستشفى وهو شاب في العشرين من عمره وقع في فخ كاميليا لكنها لم تهتم لهذا الحب الطاهر " لكن ماذا يكون موقفك حين تعلم أنني خاطئة ؟؟ أَمِنَ المعقول أن تَقْبَلَنِي بعد أن أعترفُ لك إنّي ذات يوم تَعِسٍ حزين أَسْلَمْتُ نفسي لذئب سلبني أعزَّ ما تعتزُ به الفتاة ؟... لقد استبشعتُ الأمر عندما وقعتِ الكارثة لكنّي حاولت الهروب من مأساتي بالعبث... فرأيت أن أطارد هذا ثُمَّ ألفظه، وأحِبُّ ذاك حتَّى أَمَلَّهُ، وأَجِدُ لَذَّةً غريبة في إيقاع الطَّيِّبينَ في شراكي"([22]).

ذلك هو منطق(كاميليا) في الحياة منذ أن داس ذلك الذئب البشريُّ على شرفها، فقد حاولت إغراء الطبيب محمد صادق على الرغم من معرفتها بأنّه متخلق ومتزوج وأب لطفلين، ومع ذلك فهي تحاول العبث معه "جلس الدكتور محمد في حجرة الفحص الطبي انتظارا لبدء العمل بالعيادة في اليوم المخصص له وجلست قبالته كاميليا، كان الباب مغلقا. وأبدى الدكتور محمد رغبته في أن يفتح الباب لكن كاميليا اعترضت زاعمة أن فتح الباب معناه تدفق المرضى قبل بدء العمل، غير أن كاميليا حاولت أن تعابثه بقدميها تحت المنضدة ولهذا نَحَّى قدميه... رفع وجهه إليها ووجدها تبتسم وتَعُضُّ على شفتها السفلى فيما يشبه الخجل،وقد داخله بعض الشك غير أنه كالعهد به أبعد عن ذهنه فكرة معابثتها له ملتمسا لها بعض التبريرات البريئة " ([23]).

فَلَمَّا لم يستجب الطبيب محمد صادق لإغرائها حاولت ادعاء المرض وطلبت منه أن يكشف عليها لكنه طلب منها أن تذهب إلى الطبيب موريس فهو في راحة لأنَّ اليوم ليس موعد عمله، إلاَّ أنَّهَا لم تَرُدْ عليه وأَصَرَّتْ على موقفها ودون أن يدري اختطفت يده ووضعتها على صدرها في الجانب الأيسر تحت الثدي وهي تقول: " أَلاَ تُحِس ؟؟ إنَّ دقات قلبي مسرعة جدا... وهذا ما يزعجني .. أنا مريضة بالقلب أيضا يا دكتور.."([24]). وهكذا تمضي كاميليا في إغرائها للدكتور حتّى يدخل الممرض حامد إلى المكتب ويرى الموقف المثير للشّكِّ، فيتخذ من ذلك سلاحا يُشَوِّهُ به سمعة الطبيب محمد صادق .

إنَّ كاميليا تبدو ضحية من ضحايا المجتمع الذي لم يرحمها، فهي ترغب في الزّواج لكنّ خطيئتها تمنعها من ذلك، كيف تجرؤ على الزواج وقد فقدت أغلى ما تملكه الفتاة ليلة زفافها؟ ثم إنها لا تستطيع أن تتزوج وَتترك أهلها دون مُعيل يقوم على خدمة أمها وإِخْوَتِها فهي " لم تستطع أن تنسى أسرتها الفقيرة، أمها التي تربو على الخمسين وأخاها الشيال بالميناء،وأخويها الصغيرين

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

والمسكن المتهالك المتواضع، لطالما حلمت بحياة أفضل لكن مرتبها الضئيل لم يُلْبِس أحلامَها ثوبَ الحقيقة "([25]).

لذلك تسعى كاميليا إلى العبث متناسية همومها لتدفن أحزانها وتنسى ماضيها التعس، فهي تحلم" أن تتزوج يوما ما رجلا ثريا تعطيه الشَّبَابَ والجَمَالَ والمُتْعَةَ وتأخذ منه المال"([26]).

غير أنَّ الرّجلَ الثريَّ لم يأت فكل، مَنْ حولها فقراء معدمون مثلها تماما، فهذا ابن خالها (ترزي)لا يزال صغيرا، وابن الجيران عامل بسيط بشركة (سباهي)، و(سعيد سلطان) كاتب بالمستشفى فقير أيضا، فكلّهم بلا رصيد، ومع ذلك فإن سعيد سلطان يحبّها ويرغب في الزواج منها، وهي أيضا تميل إليه " لكنّها مع ذلك لا تفهمه كما تشتهي، في نظراته حنان، تستشفُ من كلماته الميل إليها وتلحظُ في تحركاته الاهتمام بها، لكن هل هذا معناه الرغبة في الارتباط الدائم أم أنه مجرد تسلية وإشباع رغبات كامنة في قلبه"([27]).

إن كاميليا فتاة متأزمة تعيش على أمل الزواج من رجل ثري ينقذها مما هي فيه من الفقر والعوز، لكنها تلتفتُ حولها فلا جديد في حياتها ، فقد يئست من مجيء الزوج الثري، فتعيش في اجترار أحلامها، وتزداد تعاستها أكثر من ذي قبل" كلماتُ الإعجابِ والثَّنَاءِ تُطَارِدُهَا، وعباراتُ الغَزَلِ تَطْرُقُ أذنيها وأطياف الحبّ تداعب أحلامها وخيالها، وليال سوداء في الماضي تورثها الرّعب وأسرار مجهولة تطويها في قلبها تؤرقها، أما الزوج فإنه لم يزل بعيدا، ومع هذا الأسى والضيق تشعر أن كيانها يلتهب،إن في قلبها أشواقا عارمة تشتهي الرجل والمتعة والانطلاق دائما، وهي بالاختصار تشعر بالحرمان من كل شيء رغم أن كل شيء بين يديها"([28]).

وتستمر كاميليا في استهتارها وعبثها، فهي تبذل القبلات مقابل إجازة يمنحها لها الدكتور موريس، تسافر إلى طنطا لمقابلة رجل تدعي أنه قريب لها، وهذا القريب متزوج، وأن زيارات كاميليا له تكثر خاصة في فترات غياب زوجته.

وحينها تعود كاميليا إلى رشدها، وتضع حدا لِغَيِّهَا، وتَقْبَلُ الزّواج من سعيد سلطان الذي ترسل إليه رسالة تخبره فيها أنها تحبه وأنها راضية بالزواج منه إن رغب هو في ذلك، وقد أخبرته بخطيئتها:

." عزيزي سعيد..

أقسم أني صادقة في كل ما أقول

أقسم أنني أحبك كأعظم ما يكون الحب

لكن إليك نفسي عارية من كل زيف..إليك أنا بقوتي و ضعفي، بحسناتي وخطاياي...

فهل تقبلني؟؟

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

إن وافقت فهو ميلاد جديد لحياتي وقلبي...وإن رفضت فيا تعاستي وشقائي الدائم، ولي رجاء واحد عند ذلك، وهو أن تحرق هذا الخطاب وتُطْبِقَ فمَكَ عن مأساتي التي أعترف لك بها في لحظة من لحظات أيامي الحرجة، ولست أدري أهي لحظة ضعف ويائس، أم انتصار على جوانب الانحراف والانهيار النفسي في أعماقي... وسأظل ساهرة معذبة حتى يأتيني ردّك... والسلام "([29]).

وهكذا يندثر حلم سعيد سلطان في الزواج من كاميليا، لقد أثلجت صدره باعترافها بحبها له، لكنها في المقابل زلزلت كيانه باعترافها بخطيئتها، فيستشير الطبيب محمد، لكنه لا يشير عليه برأي قاطع، لأن القضية شخصية بحتة ولا تنفع فيها الاستشارة " كنت أتمنى أن أواسيك في محنتك ، وأشير عليك بالرأي لكنك في موقف خاص... أنت وحدك الذي تستطيع أن تصدر فيه رأيك... رأيك النابع من تربيتك وبيئتك" ([30]).

وبطبيعة الحال فإن تربية سعيد سلطان الدينية القروية تمنعه من الزواج من كاميليا، وكذلك ظروفه الاجتماعية؛؛ فهو كما صرَّحَ ذات يوم لـ (هدى) لا يفكر في الزواج الآن" فَأَمْرُ الزواج بالنسبة له لا تفكير فيه الآن هل نسيت أني صاحب مسؤوليات، أسرتي في حاجة إلي وأغلب إخوتي لم يتم تعليمهم بعد... وأخواتي لم يتزوجن إلا أكبرهن... الحق إن ما تبقى من مرتبي لا يكاد يقوم بنفقاتي..."([31]).

وبيئته الريفية لن تسمح له ، بل لن تسامحه إذا تزوج من فتاة ضيعت شرفها، لذلك يتخذ قراره الحاسم ، وهو بذلك يضحي بحبه من أجل كرامته وشرفه معلنا: " أنا مثلا أحب كاميليا وهي تحبني لكن لن أتزوجها...أتدري لماذا؟ لأنها خاطئة. حاولت أرغم نفسي على التسامح لكني لم أستطع لأن خطيئتها سَتَظَلُّ تؤرق سعادتنا المقبلة وتهدد مستقبلنا... لن أستطيعَ أَنْ أَغْفِرَ هَذَا الذَّنْبَ الأَكْبَرَ لِأَنِّي لَسْتُ إلهًا..."([32]) .

وبذلك تنتهي مأساة كاميليا بمأساة أخرى، هي رفض من تحب أن يتزوجها، ويعاقبها المجتمع الذكوري على خطأ ارتكبته بمعية الرجل، هذا المجتمع الذي يغفر خطايا الرجل ولا يتسامح مع المرأة،هذا المجتمع الذي يكيل بمكيالين مختلفين بين الذكر والأنثى، ولذلك تبقى كاميليا عانسا...عانسا

أما **زكية** فقد صارت عانسا لا لشيء سوى لأنها مولعة بالعمل وجمع المال، إضافة إلى أنها لا تتمتع بالجمال بل إنها تحوز على شيء كبير من القبح، حيث يصفها السارد بقوله: " كانت واحدة منهن – زكية – ضخمة الجثة ينبعث غطيطها مزعجا لا يدع فرصة لإحداهن كي تنام"([33]).

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

ليس هذا فحسب بل إن زكية "مصابة باضطراب هرموني يسبب لها نمو شاربها وبعض الشعيرات في ذقنها، وقد تعبت في البحث عن علاج حاسم دون جدوى، فلم تجد مفرا سوى أن تتخلص من الشعر من آن لآخر بطريقة ما، وكان هذا الأمر يؤلم نفسها، ويرهق أعصابها وتتصور أن كل الناس يعرفون مأساتها، ويحملقون في شاربها وذقنها كلما سارت في ردهات المستشفى، وعندما سمعت زميلتها تقول: "بعيد عن شنبك" ظنّت أنّها تُعَرِّضُ بها،فانفجرت غاضبة"([34]).

لذلك فهي ترى نفسها سجينة ومن معها في (سجن العانسات)، لذلك اشتدَّ كرهها للرِّجَالِ، مما جعلها قلقة مضطربة المزاج، يَتَعَكَّرُ صَفْوُ نفسها بسرعة، فحينما مازحتها زميلتها قائلة:. " تكذبين على نفسك...بعيدا عن شنبك"([35])،على الرغم من أن كاميليا لم تقصد التعريض بها، وإنما قالتها هكذا دون أن تلقي لها بالا، وذلك ما أَثَّرَ في زكية أيَّمَا تأثير " وهنا هَبَّتْ الزميلة الضخمة الجثة (زكية) من سريرها والشر يتطاير من عينيها وصرخت في حنق..أتحسبونني نائمة يا أوباش... لا داعي لقلة الأدب وإلا ... وأدركت كاميليا ما تورطت فيه من خطأ "([36]). وزكية تكره الرِّجَالَ وتمقتهم ولا ترى فائدة من الزواج، فهو يجلب الهَمَّ ووجع القلب، وأنَّ الرَّجُلُ لا يساوي في نظرها جُنَيْهًا واحدًا " الجُنَيْهُ بِرُتْبَةِ الرَّجُلِ... ما الذي أستفيده من الرَّجُلِ غير الهَمِّ ووجع القلب ؟؟"([37]).

فَهَمُّهَا ليس الزواج أو الحصول على رَجُلٍ كما تفعل زميلاتها في الغرفة، إنّما هَمُّهَا هو جمع المال وتخزينه في صندوق التوفير، فهي تقضي وقتها: " تحسب مَا لَهَا من أموال في صندوق التوفير، ثم تضيف إلى هذا الرصيد ثمن ما تلبسه في ساعدها وأذنيها من أساور وأقراط، ثم تفكر في المشروع الذي يراودها من زمن بعيد، وهي تجارة المسلي، إن ثمنه رخيص في الفلاحين، وهي تستطيع أن تشتري الزبدة أو القشدة وتُحِيلُهَا إلى مسلي، وستربح من وراء ذلك كسبا كبيرا"([38]).

هذا هو الطريق الذي اختارته زكية تاركة الرغبة في الزواج إلى زميلاتها كاميليا وهدى تتصارعان على كسب قلب سعيد سلطان.

ب) (هدى) المرأة المطلقة في رواية (الذين يحترقون):

وأمّا **هدى** أو السِّتُّ **هدى** كما تناديها زميلاتها في العمل، فهي شخصية أخرى من شخصيات هذه الرواية، لا ذنب لها سوى أنها مطلقة، هدى لم تنجح في الحفاظ على أسرتها أو على زوجها الأول وطُلِّقَتْ منه، فلم يرحمها المجتمع هي الأخرى، ذلك المجتمع الذي ينظر بعين الشك والريبة إلى المطلقة مهما كانت أسباب طلاقها، بل إنه في كثير من الأحيان يحملها مسؤولية ذلك وينعتها بالفاشلة في زواجها والمقصرة في واجباتها تجاه زوجها لذلك كان الطلاق...

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

هدى المطلقة منذ سنوات تبكي الأيام الحلوة حيث كان جناح الرَّجُلِ ينشر الظل والسعادة فوقها، أما اليوم فقد أصبحت تعاني من الوحدة والتعاسة، حتى التقت بسعيد سلطان بالوحدة الصحية، فخفق قلبها مرة أخرى للحبّ رغم التجارب المريرة التي مرت بها منذ طلاقها " فقد كانت الزميلة المطلقة على جانب كبير من الدهاء، لقد تقلبت في تجارب مريرة- وكانت مأساة طلاقها درسا قاسيا، وحبها الفاشل صفعة ردت إليها كثيرا من صوابها واتزانها وتعلمت كيف تزن كلماتها قبل أن تنطق بها،لذلك عندما أصرت كاميليا على أن تسألها عمن تفضله زوجا لها، ç قالت في خُبْثٍ وعيناها الحزينتان تشرقان إشراقا هَيِّنًا طارئا: أتزوجُ من سعيد سلطان"([39]).

وقد أَحَبَّتْ هدى سعيد سلطان وكتمت حبَّهَا عنه وعن غيره على الرغم من علمها بأنه يُحِبُّ كاميليا.ومع ذلك فقد تَسَرَّبَ خَبَرُ ميلها إلى سعيد سلطان " لقد عاد إلى ذهنها ما هَمَسَ به أحدُ التُومَرْجِيَة الجبناء ذات مرة من أن الست هدى – المطلقة – تنصب شباكها حول سعيد سلطان ،وترسم خططها على أساس الفصل بينه وبين كاميليا والاستحواذ عليه كُلِّيَةً..."([40]).

فقد اغتنمت هدى فرصة وجودها بمكتب الوحدة الصحية بمعية سعيد سلطان وخطبته لنفسها ،أي طلبت منه أن يتزوجها،وشرحت له أنها تحبه وترغب فيه زوجا،بعد أن أخبرته بأن كاميليا لا تصلح أن تكون ست بيت ناجحة "وانفردت هدى في اليوم التالي بسعيد سلطان ولم يكن بالحجرة سواهما، كانت هدى لبقة وتعرف كيف تبدأ الحديث، واستطاعت أن تضع كاميليا على بساط الحديث، وتحدثت عنها حديثا موجزا موهما، فأظهرت العطف عليها ببادئ الأمر، وأثنت عليها طويلا، ثم تحول العطف والثناء إلى رثاء إلى أن قالت كاميليا مسكينة وصاحبة مرض، تصرفاتها تثير الغرابة تصور أن هذه المجنونة لا تَمَلُّ الحديثَ عن الدكتور محمد، وتزعمُ أَنَّهَا على علاقة معه، أخاف أن تصاب بحالة هستيريا... والأغرب من هذا سفرها الغامض إلى طنطا... أتدري يا أستاذ سعيد لماذا أشعر بالحزن من أجلها؟؟ الحقيقة لا يمكن أن أتصور كيف تكون (ست بيت) إنها مجنونة فعلا ([41]) .

بهذا أَوْغَرَتْ هدى صدرَ سعيد سلطان الذي يحب كاميليا، وقد أَنْعَتَتْهَا بكل الأوصاف المُشِينَةِ؛ فهي مجنونة، وتَدَّعِي حُبَّ الدكتور محمد صادق وتسافر بمفردها إلى طنطا، فتقيم بها في عطلة الأسبوع عند شخص تَدَّعِي أَنَّهُ قريبها، وهي في النهاية لا يمكن أن تكون ست بيت وبذلك " كانت كلمات هدى عن كاميليا تنفذ إلى قلب سعيد كالمُدِى الحادَّةِ فتمزق فيه، وتورثه الألم الشديد"([42]) .

وتُخْبِرُهُ بِالْخِطَابِ الذي جاء من أُمِّهَا التي تريد أن تزوجها لابن خالها المدرس بالابتدائي وهي ترفضه، بل إنها رفضت قبله ثلاثةَ أزواجٍ، وهي ترفضُ ابن خالها لأنّها لا تحبّه وتخبر سعيد

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

سلطان بأنّها تحبُّ شخصًا آخراً. وَلَمَّا يُصِرُّ على معرفته تستجمع قواها وتخبره بأنه هو الرَّجُلُ الذي حَظِيَ بقلبها الثمين" واستجمعت شجاعتها وألقت بِكُلِّ ما تَمْلِكُ من طاقاتٍ في المعركة وقالت تسبقُ دُمُوعُهَا كَلِمَاتِهَا:

– أنتَ يا سعيد !! –أنا ؟؟؟ –. أجل.."([43]).

وبذلك تكون هدى قد صدحت بالحقيقة التي حاولت مداراتها طَوَالَ الشهور الماضية والتي كثيرا ما أرَّقتها، ولا تكتفي بهذا وحسب بل تستطرد قائلة: " أنت تعلم أني(ست بيت) ممتازة، قضيت هنا فترة طويلة لم يسمع عني أحد شيئا أرعى كرامتي وشرفي، والدليل منك أنت... هل رأيتني في وضع غير لائق ذات مرة، هل دارت حولي هنا همسات مخجلة؟؟ إني أهب نفسي لك لأني أحبك... أحبك كأقوى ما يكون الحب... وستجدني لك طوال العمر خادمة "([44]).

وينتهي الحوار بينهما بتحجج سعيد سلطان بأنه غير قادر على الزواج في الوقت الراهن، وأن الزواج يحتاج إلى تفكير ويطلب منها تأجيل الموضوع فترة...

بذلك يتحطم صرح الأحلام الذي بنته هدى ويَنْهَدُّ أمام قوة كاميليا وجاذبيتها فينقبض قلبها ويصيبها الحزن والأسى خاصة حينما تتذكر بأنها مطلقة " وعادت إلى وحدتها الأليمة بعد أن رفضها سعيد، لقد خطبته هي، وأغرته بالمال وحاولت أن تصرفه عن كاميليا بتشويهها أمامه وتوسلت إليه بدموعها... لكن كل هذه الوسائل فشلت في الوصول إلى قلب سعيد "([45]).

وتحاول عبثا إيجاد تفسير لذلك، لماذا رفضها سعيد ولماذا يحب كاميليا؟.. هل هو جمال كاميليا، هل لأنها هي مطلقة... الطلاق هو سبب تعاستها وسبب رفض سعيد الزواج منها، لذلك نجدها تتساءل في حيرة من أمرها: " لماذا يذوب سعيد شوقا وهياما أمام كاميليا؟ الجمال؟ إن هُدَى ليست قبيحة وكاميليا ليست صارخة الجمال فما السر؟ إنها مطلقة: لشدَّ ما يزعجها شبحُ هذه الكلمة... الطلاق وصمة وعقبة ملعونة في صفحة حياتها، ليتها تولد من جديد، وتشطب كلمة مطلقة من سجل حياتها تماما، لكن هيهات... لا فائدة من تلك الأحلام الساذجة... إنها مطلقة. انتهى الأمر، يجب أن تستسلم للواقع المرير وتنتظر الفرج، فلا مفر من أن تستسلم وتصبر، وليس لها سوى أن تعتصم بالاستسلام والصبر.."([46]).

وقد حدثت خصومات كثيرة بين العوانس جراء التنافس على الرَّجُلِ الذي أَحْبَبْتَهُ، فقد جعل نجيب الكيلاني المتنافس عليه رجلا واحدا وكأنه يريد أن يشير إلى قضية هامة وهو كثرة عدد النسوة مقارنة بعدد الرجال في مصر، وهي قضية أخرى، وقد نتج عن ذلك كثير من المشادات الكلامية والمعارك اللفظية بين العوانس جراء التنافس على الرجل الذي أحببنه والتي كادت في كثير من الأحيان أن تنقلب إلى مشادّات بدنية بينهنّ لولا تدخل الحضور لحسم تلك النقاشات

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

وفض تلك الخصومات. ذلك أن الكيلاني جعل سعيد سلطان هو الرجل المفضل لدى كل من كاميليا وهدى، إضافة إلى عبث كاميليا مع الدكتور محمد صادق.

ومن تلك الخصومات ما يظهر من خلال هذا الحوار:" وقطعت عليهنَّ الصمت كاميليا حينما قالت: لو خُيِّرْنَا فِي الزَّوَاجِ ، فَمَنْ تَخْتَارُ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْكُنَّ؟؟ قالت زكية وقد ضايقها أن تقطع عليها كاميليا حبل أفكارها.لو دخلنا موضوع الزواج فلن ننتهي منه الليلة. وقالت المطلقة: زواج ؟؟ هيه... حلم الجوعان عيش ...قسمة ونصيب..؟أما زميلتهن الرابعة فقد استحت أن تتكلم ،فلاذت بالصمت بينما عادت كاميليا تقول: . من تفضلين يا زكية ؟

فقالت زكية في توتر:

. عندي أن العشرة جنيهات مرتبي أحسن من عشرة رجال.. الجنيه برقبة الرَّجُلِ.. ما الذي أستفيد من الرَّجُلِ غير الهَمِّ ووجه القلب؟؟؟ فضحكت كاميليا طويلا، ودقت بكفيها،ثم غمزت بحاجبها،وقالت: . أنا عارفة، طيب لو جاءك عشرة رجال في جيب كل منهم عشرة جنيهات أظن لا مانع..؟ فلم تعلق زكية بغير: أخرسي يا مجرمة؟

وكانت الزميلة المطلقة على جانب كبير من الدهاء... ولهذا عندما أصرت كاميليا أن تسألها عمن تفضل زوجا لها، قالت في خبث:

. أتزوج من سعيد سلطان.

وقهقهت هذه المرة زكية،أما كاميليا فقد جمدت برهة ثم فهمت أن زميلتها تعرض بها،وتشير من طرف خفي إلى العلاقة العاطفية بين سعيد وكاميليا،فتمالكت كاميليا أعصابها و همست:

. و لماذا سعيد سلطان بالذات ...؟

فأجابتها المطلقة بلهجة ماكرة:

. وظو وظ....و....دمه خفيف...

وفي هذه المرة انطلقت كاميليا قائلة:

. ولأَنَّهُ يُحِبُّنِي.

فتراجعت ابتسامة المطلقة ، وخَفَّتْ إِشْرَاقَهُ عَيْنِهَا وهمست:

. ماذا تعنين؟ !

. أنت خَطَّافَةٌ – وأظنها عقدة نفسية، لقد خطفت امرأة زوجك، وأنت اليوم تنتقمين تخطفين سعيد سلطان... في لحظة واحدة تحول الأمر من مزاح بريء إلى تحد صريح واتهامات وعناد وأصبحت كاميليا نمرة شرسة...."([47]).

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

بذلك يقدم لنا نجيب الكيلاني صورة النسوة العوانس في رواياته من خلال العوانس(كاميليا وزكية) في رواية (الذين يحترقون) وقد جعل لكل منهما سببا جعلها تبقى عانسا؛ فكاميليا أقعدتها خطيئتها عن الزواج لأن الرجل العربي الشرقي لن يرغب في الزواج من غير العذراء.

أمّا هدى فقد جلب لها طلاقها من زوجها الأول الذي أغرته امرأة أخرى ،جلب لها المأساة وحرمها من أن تعيد تجربة الزواج مرة أخرى لا لشيء سوى لأنها مطلقة.

وأما زكية فقد حرمها قبحها وضخامتها من الزواج، فقد رغب عنها الرجال،مما جعلها تكرههم وتعزف عن الزواج وتهتم بجمع المال وتكديس الثروة.

غير أن نجيب الكيلاني قد عرض هذه القضية من خلال الرواية عرضا سطحيا متمثلا في التسجيل التشخيصي لتلك الحالات دون اقتراح العلاج لتلك المشكلة، نعم لقد صور الكيلاني تلك القضية وعرض تلك المشكلة ،ولكن حبذا لو أنه تعمق في جذور القضية بعرض العلاج الناجع .

ذلك أن نجيب الكيلاني في رواية (الذين يحترقون) مثلا،أكثر الحديث عما يواجه الطبيب من صعوبات من خلال شخصية الطبيب (محمد صادق)،وقد ورد ذلك الحديث متشابها في معظم صفحات الرواية.

خاتمة:

مما سبق عرضه يمكن الوقوف على جملة من النتائج التي توصل إليها البحث، والتي نجملها فيما يلي :

. كانت الوحدة الصحية هي مسرح أغلب أحداث الرواية،كما كانت شخصياتها لا تتجاوز الأطباء والممرضات والتومرجية، وهو ما يعكس البيئة الوظيفية الاجتماعية التي عاش فيه الروائي نجيب الكيلاني

. قدم الكيلاني صورا متنوعة للمرأة في هذه الرواية والتي عالج من خلالها ظاهرتي العنوسة والطلاق .

. شكلت الرواية محاكمة كتابية للمجتمع، وتعرية لازدواجيته، وكشفا لزيفه ونفاقه في تعامله مع الذكر والأنثى بمكيالين مختلفين.كان أغلب الرجال في الرواية متسلطين وقفوا مواقف سلبية من المرأة، بينما بدت النساء مضطهدات، مقهورات، مقموعات، يُعَانَيْنَ من ظلم مزدوج : ظلم الرجل وظلم المجتمع .

حاول الكيلاني من خلال شخصيتي العانس والمطلقة، استعراض الآثار النفسية الوخيمة التي تتعرض لها المرأة،والشعور بالدونية والتهميش من قبل المجتمع .كما تحدث الكاتب عن

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

الصراع الدائر بين الشخصيات الأساسية للرواية حديثا مباشرا دون أن يترك القارئ يكتشف هذا الصراع من خلال أحداث الرواية. وأخيرا حاول الكاتب تشريح أسباب العنوسة ؛ فهي إما بسبب الطلاق،أو الوقوع في الخطيئة وفقدان العذرية، أو القبح وعدم الرغبة في الرجال لانشغال المرأة بأمور أخرى غير الزواج ...

الهوامش والإحالات

[1]/ ابن منظور ، محمد بن مكرم : لسان العرب ،الجزء الأول ، ط 4 ، دار بيروت للطباعة والنشر، 1955م ، ص 154.

[2] / المصدر نفسه، الجزء الثاني ، ص 212.

[3] / الجوهري، أبو نصر إسماعيل بن حماد : الصحاح في اللغة، الجزء الثاني، ط 4، تحقيق : أحمد عبد الغفور عطار دار العلم للملايين، بيروت لبنان ، يناير 1990م ، ص 164.

[4]/ المصدر نفسه ، ص168.

[5]/الحكيم ، سعاد : " المرأة ولية ..وأنثى (قراءة في نص ابن عربي)" ، مجلة التراث العربي، اتحاد الكتاب العرب، دمشق ، العدد 80، تموز 2000م ، ص 08.

[6]/ طه ، جمانة : المرأة في منظور الدين والواقع (دراسة مقارنة) ، منشورات اتحاد الكتاب العرب،2004م، ص 30.

[7]/ ول وايزيل ،ديورانت: قصة الحضارة ،ترجمة زكي نجيب محمود ، ج9 ، الإدارة الثقافية لجامعة الدول العربية، القاهرة ، د .ت ،ص 216.

[8]/سورة النحل : الآيتين 58 . 59 .

[9]/سورة النساء :الآية 01 .

[10]/ عبد الباقي ، زيدان : المرأة بين الدين والمجتمع ، د ط ، 1977 م ، ص 496 .

[11]/السعداوي ، نوال :الوجه العاري للمرأة العربية ، دار مطابع المستقبل، ط 3 ، القاهرة ، 1993م، ص 55 .

[12]/المرجع نفسه ، ص126 .

[13]/ المرجع نفسه ، ص ص 40 . 44 .

[14]/المرجع نفسه، ص 40 .

[15]/حداد ، ياسين :" الصورة النمطية للجنسين : مضامينها وأبعادها "، مجلة دراسات ، العدد 15، 1988م، ص 408 .

Edited with the trial version of Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit: www.foxitsoftware.com/shopping

[16]/نزيه ، أبو نضال : الشرط الاجتماعي وقصور الوعي في الرواية النسوية العربية ،في خصوصية الإبداع النسوي، د.ط ، وزارة الثقافة ، عَمان ، 1997 م ، ص 215 .

[17]/ قبيسي ، بشرى : المرأة في التاريخ والمجتمع ، ط1 ، دار أمواج ، بيروت ، 1995م ،ص 125 .

[18]/حرب ، علي : الحب والغناء وتأملات في المرأة والعشق والوجود ، ط1 ، دار المنهل للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت، 1990 م، ص ص 21 . 22 .

[19]/ طه ، جمانة : المرأة في منظور الدين والواقع (دراسة مقارنة) ، ص 42.

[20]/الكيلاني، نجيب: الذين يحترقون، طبعة 01، مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع،بيروت 1999،ص 16.

[21]/ المصدر نفسه ، ص08.

[22]/ المصدر نفسه ، ص303.

[23]/ المصدر نفسه ، ص25.

[24]/ المصدر نفسه ، ص66.

[25]/ المصدر نفسه ، ص29.

[26]/ المصدر نفسه ، ص30.

[27]/ المصدر نفسه ، ص60.

[28]/ المصدر نفسه ، ص ن.

[29]/ المصدر نفسه ، ص ص 303 . 304.

[30]/ المصدر نفسه، ص 212.

[31]/ المصدر نفسه،ص،176.

[32]/ المصدر نفسه ،ص،317.

[33]/المصدر نفسه، ص ص،30-31.

[34]/المصدر نفسه ،ص 30 .

[35]/المصدر نفسه ، ص 33 .

[36]/المصدر نفسه ، ص،31 .

[37]/ المصدر نفسه ، ص،91.

[38]/المصدر نفسه، ص،89.

[39]/ المصدر نفسه ،ص 91.

[40]/ المصدر نفسه ، ص 92.

[41]/ المصدر نفسه ، ص 173.

Edited with the trial version of
Foxit Advanced PDF Editor
To remove this notice, visit:
www.foxitsoftware.com/shopping

[42]/المصدر نفسه ، ص 91.

[43]/المصدر نفسه ، ص،175.

[44]/المصدر نفسه ، ص ص،175-176.

[45]/المصدر نفسه، ص،219.

[46]/ المصدر نفسه ، ص 223.

[47]/ المصدر نفسه، ص ص،90-92 .